وهل الإيمان إلا الحب ؟

٨

حب الجيران

الدكتور
محمد عمر الحاجي

رسوم : إياد عيساوي

الطبعة الأولى
2006 - 1426

جميع الحقوق محفوظة

يمنع طبع أو إخراج هذا الكتاب أو أي جزء منه بأي شكل من أشكال الطباعة أو النسخ أو التصوير أو الترجمة أو التسجيل المرئي والمسموع أو الاختزان بالحاسبات الالكترونية وغيرها من الحقوق إلا بإذن مكتوب من دار المكتبي بدمشق .

دار المكتبي
للطباعة والنشر والتوزيع
www.almaktabi.com

سورية ـ دمشق ـ حلبوني ـ جادة ابن سينا
ص.ب ٣١٤٢٦ ـ هاتف : ٢٢٤٨٤٣٣ ـ فاكس : ٢٢٤٨٤٣٢
e-mail: almaktabi@mail.sy

فَفِي خَطٍّ مِن الخُطوطِ النَّبويَّةِ بيَّنَ رسولُ الله ﷺ بالأقوالِ والأفعالِ من هُوَ الجَارُ؟

وذلكَ لأنَّ البعضَ فهمُوا ـ خطأ ـ أنَّ الجارَ هُوَ مَنْ يُجاوِرُكَ ، بشرط أن يكونَ مُسلِماً ، لكنَّ الشَّريعةَ الإسلاميَّةَ تصرُّ على أنَّ الجَارَ هو مَنْ يَسْكُنُ إلى جوارِكَ ، سواءٌ كانَ مسلماً أم نصرانياً أم يهوديّاً أم كافراً وما إلى ذلكَ.

وهذهِ لفتةٌ رائعةٌ تعرِّفُ كلَّ مسلمٍ بمدَىٰ اعتناءِ الإسلامِ بتركيزِ وتمتينِ أواصرِ الحبِّ بينَ أفرادِ المجتمعِ كلّه ، والدليلُ على ذلكَ ما وردَ في سننِ التِّرمذيِّ: أنَّ عبد اللهِ بن عمر رضي الله عنهما اشترىَ شاةً وأمرَ غلامَهُ أن

يَذْبَحَها ويَسْلَخَها ، ثمَّ خرجَ ثمَّ عادَ.. فقالَ: يا غُلام ، إذا فرغتَ فابدأْ بجارِنَا اليَهُودِيّ - أي في عمليَّةِ توزيعِ اللَّحمِ - وكرَّرَ ذلكَ ثلاثاً.

فقالَ: وَلم تؤكِّدُ ذلكَ يا أبا عبد الرَّحمن ؟

قالَ: لأنِّي سمعتُ رسولَ الله ﷺ يُوصِي بالجارِ حتَّى حسبنا أنَّهُ سَيورِّثُه!!

وتقدَّمَ (الشَّيخُ مصطفى) الصُّفوفَ ليؤمَّ النَّاسَ لأداءِ صَلاةِ المَغربِ ، وبعدَ قِراءَةِ سُورةِ الفاتحة تَلا قولَهُ تعالى:

﴿ ۞ وَٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ وَلَا تُشْرِكُوا۟ بِهِۦ شَيْـًٔا ۖ وَبِٱلْوَٰلِدَيْنِ إِحْسَٰنًا وَبِذِى ٱلْقُرْبَىٰ وَٱلْيَتَٰمَىٰ وَٱلْمَسَٰكِينِ وَٱلْجَارِ ذِى ٱلْقُرْبَىٰ وَٱلْجَارِ ٱلْجُنُبِ وَٱلصَّاحِبِ بِٱلْجَنۢبِ وَٱبْنِ ٱلسَّبِيلِ وَمَا مَلَكَتْ أَيْمَٰنُكُمْ ۗ ﴾ [النساء: ٣٦].

وبَعْدَ الصَّلاةِ سَألَ الشَّابَّ (مُهتدي) قائلاً:

ماذا تعني هذهِ الآيةُ يا شيخَنا؟ فقالَ الشَّيخُ: أرادَ اللهُ أَنْ يقرنَ قضايا تهتمُّ بها الشَّريعةُ مع عبادةِ اللهِ تعالى ليفهمنَا أنَّ الإحْسَانَ إلى الوَالِدينِ ، والاهتِمَامَ بالقَرابَةِ ، ومُساعَدَةَ اليتَامَى والمَسَاكِينَ ، والإحسانَ إلى القَريبِ مِنكَ فِي الجِوارِ ، وإلى البَعيدِ عَنْكَ فِي الجِوارِ ، وإلى الرَّفيقِ في السَّفرِ وَقِيلَ الزَّوْجَة ، كلّ هؤلاءِ لهم حقٌّ عليكَ لا يَنْفصلُ عن حقِّ اللهِ أبداً!!

مِنْ وَصايا رسولِ الله ﷺ

وَقال الأُستاذُ (زينُ العابدين):

وفي كُتُبِ الأحاديثِ النَّبويَّةِ تأكيدٌ على حبِّ الجيرانِ والاهتمامِ بِهِم ، وعدمِ إيذائِهم.

وتؤكِّدُ الأحاديثُ النَّبويّةُ على قضيَّةِ الرَّبطِ

بينَ الإيمانِ وبينَ حُسنِ الجِوار، فمنْ لم ينضبطْ بالثَّانية وهي المُعاملةُ الحَسنةُ لجيرانهِ، فَقَدْ فَقَدَ الإيمانَ!! مصداقُ ذلكَ ما وردَ في صَحيحِ البُخَاريِّ عَنْ أَبي هُريْرَةَ رَضيَ اللهُ عَنْهُ قالَ: قال رَسولُ الله ﷺ: «مَنْ كانَ يُؤمِنُ باللهِ واليَومِ الآخرِ فَلْيُكْرِمْ جارَه».

بَل إنَّ الرسولَ ﷺ يُصَعِّدُ المسألةَ أكثَرَ، لينفِي الإيمانَ عَنْ كُلِّ مَنْ يؤذي جيرانَهُ، فَيَقُولُ: «واللهِ لا يُؤمنُ، واللهِ لا يُؤمنُ، واللهِ لا يُؤمِنُ!».

قيلَ: مَنْ يا رسولَ الله؟

قال: «الذي لا يَأْمَنُ جَارُهُ بوائِقَهُ» ـ أي شُرورَهُ ـ

وَيَرْبِطُ الرَّسولُ ﷺ مَسألةَ حُسنِ التَّعاملِ معَ الجيرانِ معَ مسألةِ الفَوزِ برضَا اللهِ تعالى،

فيَقول: «خَيرُ الأَصحابِ عندَ اللهِ تعالى خيرُهم لصَاحبِهِ، وخيرُ الجِيرانِ عندَ اللهِ تعالى خَيرُهم لِجيرانِهِ».

لِمَاذا مَحبَّةُ الجَارِ؟!

ورَاحَ الشَّيخُ (يحيى) يَشرحُ بعضَ الأمُورِ المُتعلِّقَةِ بالجارِ، فقال:

الجارُ: هُوَ مَنْ جاورَكَ في السَّكنِ، أو الحرفةِ، أو التِّجارةِ، أو الزِّراعةِ، أو الصِّناعةِ، وما إلى هُنالكَ.

لِذلكَ فوصَايا الإسلام بِمحبَّةِ الجارِ سَبَبهَا أنَّ الجارَ هوَ أقربُ النَّاسِ إليكَ، فإذا وَقعتَ في مُصيبةٍ أو قضيَّةٍ ما، فإنَّ أسرعَ مَنْ يَصلَ إليهِ الخبرُ هُو جارُك، وهو أوَّلُ مَنْ يَستطيعُ مُساعدتَك، لذلكَ فَالجارُ ـ فِي كثيرٍ مِن

الأَحيـانِ ـ أنفـعُ وأحسـنُ لـلإنسـانِ مـن الأَخِ البَعِيد!!

والجارُ ليسَ هُوَ من كانَ بيتُهُ ملاصقاً لِبَيْتِكَ فقط!! إنَّما يشملُ حدَّ الجوارِ أربعينَ داراً من كلِّ جَانِبٍ، فَمن بيتكَ وإلى أربعينَ داراً، مِنَ اليَمينِ ومِنَ الشِّمالِ، ومنَ الأَمامِ ومنَ الخَلْفِ، كلّ هؤلاءِ جيرانُكَ.

أَيْ: يكُونُ لكلِّ إنسانٍ (١٦٠) مئة وستُّونَ جَاراً!!.

وبالتَّالي فَجميعُ أَهْلِ الحيِّ جيرانُكَ، فإنْ أَحسنتَ لواحدٍ مِنهم فقدْ أرضَيْتَ الله، لكنْ إنْ آذيتَ أيّ واحدٍ منهم، وبأيّ لونٍ مِنْ أَلوانِ الأذى، مَعنى ذلكَ أنَّكَ قد جلبتَ غَضَبَ اللهِ عليكَ، مِصداقُ ذلكَ قولُ رسولِ الله ﷺ:

«كلّ أربعين دار جيرانٌ: من بينِ يديهِ، ومن خَلفِه وعن يمينهِ، وعن شمالهِ».

والحِكْمَةُ من هذا التَّوجيهِ النَّبويّ: أنْ يعيشَ أَهْلُ الحيِّ الواحدِ كالأُسرةِ الوَاحدةِ، مُتحابِّين، مُتآلِفِينَ، مُتَعاونين، لا أَحدَ يُؤذي أحداً، إنَّما الكلُّ عَبيدٌ للهِ سبحانَهُ وَتعالى.

وهَكذا تُصبحُ القَريةُ كأنَّها أُسرةٌ واحدةٌ، وبالتَّالِي فالمُجتمعُ الإنسانيُّ سَيغدو كالأُسرةِ الوَاحِدَةِ، لا قَويَّ يعتدي على ضَعيفٍ، ولا غَنِيَّ يَسرقُ أَمْوالَ فَقيرٍ، ولا حُروبَ ولا...!

إِذَاً: ما هيَ حُقُوقُ الجارِ؟

هذا السّؤالُ الذي طرحَهُ (مُعتزٌّ)، فَكانَ جوابُ الأُستاذِ (نور الهدى):

رَسمتِ الشَّريعةُ الإسلاميَّةُ عدَّةَ محاورَ لِتبيانِ حُقُوقِ الجارِ على جَارِهِ، وقد جُمِعَتْ بالأَحاديثِ النّبويَّةِ، مِنْ ذلك قولُه ﷺ:

«حقُّ الجارِ على الجارِ: إنْ استَقْرَضَكَ أقرضْتَهُ، وإنِ استعانَكَ أَعنتهُ، وإنْ مَرِضَ عُدْتهُ، وَإنِ احتاجَ أَعطيتَهُ، وإنِ افتقرَ عُدْتَ عليه، وَإن أصابهُ خيرٌ هنَّأتهُ، وإنْ أصابتهُ مصيبةٌ عزَّيته، وإذا ماتَ اتَّبعتَ جنازته، ولا تستطلْ عليهِ بِالبِناء فتحجُبَ عَنْهُ الرِّيحَ إلاّ بِإذنِهِ، ولا تُؤذِهِ بِريحِ قِدْرِكَ إلاّ أنْ تَغرفَ لَهُ منها، وإنِ اشتريتَ فاكهةً فَأَهدِ لهُ، وإنْ لم تَفعلْ فأدخلها سِرّاً، ولا تُخْرِجْ بِها وَلدكَ لِيغيظَ بها ولدَهُ».

وما هِيَ ثَمراتُ إكرامِ الجَارِ وحبّه؟

وأحبَّ الشَّابُّ الذَّكيُّ (حَسن) أَنْ يشاركَ في هذا الموضوعِ ، فقالَ بعدَ أنِ استأذَنَ الأساتذةَ المشايخَ:

ومن الثَّمراتِ التي يجنيهَا كلّ إنسانٍ يعيشُ مع جيرانِه على الخيرِ والشرِّ ، يحبّهم ويحبُّونهُ ، يحترمهُم ويحترمونَهُ ، كلّ منهم يؤدّي ما عليهِ من واجباتٍ ، ويأخذُ ما لهُ من حقوقٍ:

يُؤكِّدُ الرَّسولُ ﷺ على أنَّ من أرادَ اللهُ إسعادَهُ في الدُّنيا والآخرةِ فإنَّهُ يهيّئُ لهُ جاراً صالحاً ، مِصْداقُ ذلكَ ما وردَ في مسندِ الإمامِ أحمد أنَّ النَّبيَّ ﷺ قالَ: «مِنْ سعادةِ المرءِ

المُسلمِ: الجارُ الصالحُ ، والمنزلُ الواسعُ ، والمركبُ الهنيّ».

وَيعتبرُ الرَّسولُ ﷺ الجارَ الحسن بمن يباركُ الله لهُ في العُمرِ فيطولُ عمرهُ!

وهُناكَ أُناسٌ لا يصدِّقونَ إلا بالمَلْمُوساتِ ، لَكِنْ هُناكَ مَسألةُ البَركةِ التي تُوحِي بالحَياةِ الهَادئةِ الرَّضيّةِ ، وَهناكَ البَركةُ التي يَطرحُهَا اللهُ تعالى في بَعضِ الأُمورِ.

لِذلكَ من بارَكَ اللهُ بِعُمُرِهِ عاشَ حياةً هادئةً مُستقرةً ، لا أهوالَ ولا خُصوماتٍ مَع الجيرانِ ، بَينما إن كانَ لَهُ جارٌ سيِّئٌ لا يُمكِنُ التَّفاهمُ معهُ؟!

مِصْداقُ ذلكَ ما رُوِيَ عن ابنِ أَبي الدُّنيا عن النَّبيِّ ﷺ ، «ثَلاثٌ يعمرنَ الدُّنيا: حُسنُ الجوارِ

وصِلةُ الأرحامِ وحُسنُ الخُلُقِ».

لِذلكَ كانَ من دُعاء رسولِ الله ﷺ: «اللَّهُمَّ إنِّي أعوذُ بِكَ مِنْ جارِ السُّوءِ في دارِ المقامةِ، فإنَّ جارَ الباديةِ يَتحوَّلُ».

وكانَ صلواتُ اللهِ عليهِ يَقولُ: «أَربعٌ من السَّعادةِ، وأربعٌ من الشَّقاوةِ، فأمَّا الشقاءُ: فالزَّوجةُ السُّوءِ، والجَارُ السُّوءِ، والمَركبُ السيِّئُ، وضيقُ المَسْكَنِ».

حُدودُ إيذاءِ الجَارِ!

وقالَ الشَّيخُ (يَحيى):

ويَكُونُ إيذاؤهُ بعدَّة نَواحٍ وأُمُورٍ، وأهمّها عَدمُ مشاركَتهِ في أَفراحهِ وأحزانهِ، وَعدمُ السَّلامِ والتَّرحيبِ بهِ، وإيذاؤهُ بِرَفعِ صَوتِ

المِذْيَاعِ والتِّلفازِ وما إلى هُنالِكَ ، والنَّظرُ إلى عَوراتِهِ خِلسةً ، مِصداقُ ذلكَ قولُ رسولِ الله ﷺ: «ما تَقولُونَ في الزِّنى؟ قالوا: حَرامٌ حَرَّمه اللهُ ورسولهُ ، فهو حرامٌ إلى يومِ القيامةِ».

فقالَ الرَّسولُ لأصحابه: «لأنْ يَزْنِي الرَّجلُ بِعَشْرَةِ نِسوةٍ أيسَرُ عليهِ من أَنْ يَزْنِي بامْرَأَةِ جارِهِ».

فَقالَ ﷺ: «ما تَقُولُونَ في السَّرقةِ»؟

قالُوا: حَرَّمها اللهُ ورسولُه فهي حَرامٌ ، قالَ: «لأنْ يَسرقَ الرَّجلُ من عشرةِ أبياتٍ أَيسرُ عليهِ من أَنْ يَسْرِقَ من جارِهِ».

من أخبارِ الرَّعيلِ الأوَّلِ مع الجيرانِ

ويختمُ الشَّيخُ (مصطفى) الحديثَ بروايةٍ

لهاتينِ القصَّتينِ عن حسن التّعامُلِ مع الجيرانِ:

كانَ لمالكِ بنِ دينارٍ جارٌ وعندَهُ كلبٌ ضعيفٌ ، فكانَ مالكٌ يُخرجُ لهُ كلَّ يومٍ طعاماً ويُلقيهِ إليه ، ولمَّا أنكروا عليه ذلك قالَ: «كانَ الحسنُ يقولُ: كانَ الرَّجُلُ في الجاهليةِ يقولُ واللهِ لا يُؤذى كلبُ جاري، وهم أهلُ جاهليةٍ! أفلا أُكرمُ كلبَ جاري وأنا في الإسلامِ؟!

وكانَ لحسَّان بن ثابتٍ باب دارٍ تدخلُ منهُ العنزُ ـ الماعز ـ فتأكلُ من البستانِ والبيتِ ولا يطردُها! ولمَّا قيلَ لَهُ ذلكَ قال: دعوهَا تأخذُ حاجتَها ، فإنَّها عنزُ جاري!!

وكان (عائذٌ المُزنيّ) يقولُ: لأن يُصبَّ ماءُ المطرِ في بيتي أحبُّ إليّ من أنْ يصبَّ في طريقِ المسلمينَ ، لذلكَ كانوا يقولونَ عنهُ: كان

لا يُخْرِجُ إلى الطَّريقِ من دارهِ ماءً..!!

نسألُ اللهَ أن يجعلَ أخلاقَنا مع جيرانِنَا فاضلةً ، وأعمالنا معهم حسنةً ، آمين آمين.

والحمدُ للهِ ربِّ العالمين